اللغة الإنسانية

نشأتها. فلسفتها. مفهومها. تطورها

الأستاذ / أحمد عبد الرحيم السايح - جامع الأزهر

اللغة ظاهرة اجتماعية اقتضتها حياة بني الانسان ، لان الله خلق هذا النوع اضعف قوة من كثير من انواع الحيوانات الاخرى ، التي تعيش معه على الارض ولكن الله عوض الانسان عن قوة الجسم والسلاح ، قوة العقل ومنحه الاستعداد للتفاهم والكلام .

فدعا بعض افراد الانسان بعضا للتفاهم والتعاون على اتقاء عادية الحيوان وعلى جلب المنابع وتحصيل المرافق ، واضطره ذلك الى سكنى المدن وانشاء المجتمعات ، ولذلك قال فلاسفة الاجتماع « الانسان مدني بطبعه » اى انه مضطر الى سكنى المدن ، وانشاء المجتمعات ـ ليتم فيها التعاون والتبادل والقدرة على استغلال ما اعد له فى هذه الدنيا من مقومات حياته .

وكانت اللغة هي : الاداة التي تكشف لبعض الافراد عما فى نفوس الآخرين وقد كان التفاهم الانساني فى أول الامر بالاشارات التي لا يزال بعضها فى لغة الجماعات البدائية والتي تظهر فى الطفل قبل ان يتعلم الكلام ثم حصل التفاهم بالاصوات التي تالفت منها الكلمات فى اللغات المختلفة (1) .

فاللغات : اصلا : اصوات وليست كلمات وان الكلمة صوت يرمز الى معنى وكتابة الكلمة رسم يرمز الى هذا الصوت ، والصوت : هو الاصل والصوت يصنعه الهواء يخرج من رئة الانسان وتقوم الحنجرة ويقوم اللسان ويقوم الفم وحتى الانف باعطائه شكلا خاصا . هو الكلمة المسموعة .

واللغة : فى اللغة : فعلة ، من « لغوت » أي تكلمت واصلها لغة ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات، لقولهم : كروت بالكرة وقلوت بالقلة ، ولان ثبة كانها من مقلوب ثاب يثوب .

وقالوا فيها : لغات ولغون ككرات وكرون وقيل منها : لغى يلغي ، اذا هذى قال :

ورب اسراب حجيج كظم
عن اللغا ورفث التكلم

وكذلك اللغو قال الله سبحانه وتعالى « واذا مروا باللغو مروا كراما » اى بالباطل . وفى الحديث من قال فى الجمعة صه فقد لغا : اي تكلم (2) .

واللغة : فى اصطلاح اهل اللغة : اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم . وهذا التعريف يشمل معناها الخاص .

اما معناها العام فهو : مجموعة الوسائل المعبر بها عن المعاني والدالة على نفس المعاني لدى الآخرين سواء كانت تلك الوسائل فطرية أم اصطلاحية (3) .

وقد يصعب على الباحث معرفة متى واين وكيف بدات اللغة ؟

الا اننا لا نعدو الصواب ، اذا قلنا : انها بدات عند ما تكونت اول جماعة انسانية فى هذا الوجود ، ولا نعدو الصواب ايضا ، اذا قلنا ان الجماعة الانسانية الاولى ايا كان طابعها ـ عندما تكونت اصبحت معها

مشاكلها الخاصة الناتجة عن علاقات الافراد بعضهم ببعض والناتجة عن علاقة الانسان بالبيئة والطبيعة ، وفي سبيل البحث عن حل لتلك المشاكل الجديدة في نوعها : تولد النشاط الانساني في استخدام الصوت ، لتكوين الفاظ لغوية بدائية الطابع ، والانصات لتلك الأصوات بما يتبعه من مسلك ذهني لفهم مدلولها اللفظي ، عن طريق الاذن .

تجسد هذا النشاط الانساني المتميز عن كائنات الطبيعة الاخرى في صيحات موسيقية توحي بمعان سحرية ، تختلف في دلالتها باختلاف موسيقاها ، بذلك تكون العنصر الاساسي للبيئة الثقافية الخاصة بالانسان وحده ، فاللغة بظهورها ـ كمرحلة عليا في مجريات التطور ـ خارجة خروجا تلقائيا من صور سبقتها للنشاط الحيواني كان رد فعلها الحتمي : هو تحويل تلك الصور والضروب التي كان السلوك الجماعي يجيء على غرارها يضيف بعدا جديدا ، الى ابعاد الخبرة الانسانية ما نطلق عليه : انسانية الوجود، فالتعبير الرمزي عن الاشياء ، يحولها من اشياء قائمة بذاتها منفصلة عن الوجود الانساني الى جزء من هذا الوجود .

فمثلا : تسمية الساق الخشبية المنبثقة من الارض والمنتهية بأفرع ووريقات خضراء ، بلفظ شجرة هو بمثابة اذابتها في الوجود الانساني ، تقع تحت سيطرته وتفقد معنى وجودها بدونه ، وعلى هذا تسميه الشيء اي اطلاق لفظ لغوي عليه هو الخطوة الاولى للسيطرة على وجوده ومزجه بالوجود الانساني بعد المعرفة السابقة له ، كشيء منفصل عن هذا الوجود . والقوة في التعبير الرمزي عن الشيء بلفظ لغوي عليه تكمن في انبثاق مواضيع من هذا الرمز لا تمت للشيء المرموز به اصلا ، بصلة مباشرة وان كان هذا لا يتم الا بعد عدة مراحل من التطور اللغوي ، ومن هنا يتبين الفرق الاساسي بين التعبير الرمزي عن الاشياء والافعال برسمها،والتعبير الحركي ـ الرقص ـ الذي من الصعب ان يتولد عنه شيء آخر بخلاف اللفظ اللغوي الذي يملك تلك الامكانية ، وليست على هذا الاساس البيئة التي يحيا فيها الانسان يعمل ويبحث ، « مادية » فقط بل ثقافية كذلك فافعال الانسان وكيفية آدائه لها ، لا تتوقف على التكوين العضوي لجسده فقط ، بل البيئة والانسان يتأثران كذلك بمؤثرات تراثه الثقافي المنبثق في التقاليد والنظم الاجتماعية والعادات والاهداف والمعتقدات التي تحملها الالفاظ اللغوية في طيها وتوحي بها ، والمشكلات التي تبعث على التقصي والبحث انما تنشأ من علاقات الناس بعضهم ببعض ولا تقتصر الاعضاء التي تختص بهذه العلاقات على العين والاذن ، واللسان ، بل من ادواتها كذلك تلك المعاني المتطورة على مر الحياة مضافا اليها وسائل التكوين الثقافي .

تحتل اللغة اذن : في مركب العناصر التي يتألف منها المحيط الثقافي للانسان مكانا ذا دلالة خاصة وهي تؤدي وظيفة ذات دلالة خاصة ايضا فهي في حد ذاتها نظام ثقافي وان شئت بعبارة ادق فقل هي :

أ ـ الاداة الرئيسية التي تنتقل بها سائر تلك النظم الاخرى والعادات المكتسبة .

ب ـ والالفاظ التي تتغلغل خلال الصور ومضموناتها في آن واحد معا اعني الانظمة الثقافية الأخرى ومضموناتها .

ج ـ وتتميز بتركيب خاص بهالة قابلية التجريد باعتبار اللغة « صورة » من الصور ولهذا التركيب اذا ما تجرد في صورة تأثير حاسم من الوجهة التاريخية .

واللغة التي جاءت بهذا الوضع هي اللغة بأوسع ما اريد لها من معنى ، فاللغة في هذا المعنى المتوسع هي الوسيلة التي تتقمصها الثقافة فتبقى ، وعن طريقها تنتقل وهي ذلك التدوين الذي يديم بقاء الحوادث ويجعلها في متناول الناس عامة لبحثها من جديد ، ومن جهة اخرى فان الافكار او المعاني لا وجود لها الا في رموز يستحيل فهمها ، دون الرجوع اليها مرة ثانية وبذلك تشكل الرموز نوعا من البقاء الضروري لوجود الاشياء المرموز اليها ، بعد ان كانت بداية استخدامها وسيلة فقط للتعبير الرمزي .

ومن هذا يتبين ان علاقات العالم النفساني والعالم الخارجي تنسجم في التعابير المختلفة ، توجد بوجودها وتنعدم بانعدامها ، انها شرط وعلة لها وبما ان الموضوع والذات ، اي المفعول والفاعل يلتقيان في الشعور الفردي ليتحققا كان لزاما على الدراسات النفسانية ، أن تبدأ بالتعرف على حقيقة التعبير واصنافه .

فاللغة : فن تقني « لان لها نماذج وقواعد متفقا عليها » ولكن حقيقتها تندمج في حقيقة تاريخية : التاريخ الفكري والنفساني والصناعي والجغرافي

للامة او للامم المتكلمة بهذه اللغة . ونقصد هنا بالتاريخ الماضي طبعا ، ولكنه ماض يسترسل فى الحاضر مع التاكيد بأن الحاضر لا ينحصر فى الحال بل هو ما يعبر عنه النحويون « بالمضارع » اى الحال والمستقبل لان ما يقوم به الانسان فى الحاضر انما هو انجاز لما يريد ان يكون عليه ما بعد الحاضر فالمستقبل ليس مرادفا للبعيد ، كما ان الحاضر ليس منحصرا فيما قد حضر ، فحاضر ليس وصفا لحالة بل اسم فاعل اى انه الزمن الذي يقع فيه فعل فعليا .

فالحاضر يختلف عن الماضي لان الماضي قد انتهى كحركة مباشرة ولم يبق الا فى اشارة او فى ذاكرة ويخالف ايضا المستقبل لان المستقبل يصوب اتجاهه نحو الامام ويتقمص الآمال .

فالمتكلم يغير اللغة ولكنه يخضع لاسسها ومصطلحاتها كي يفهم ، فالكلام اداة للتفاهم لا غاية فى ذاته ، ان المتكلم يرمي من وراء الكلام ان يفهم المستمع انه يريد تواصلا .

لكن خلافا لما يمكن ان نظنه ان الانسان الاول لم يتكلم ليعبر عن مفاهيم وافكار ولم يتكلم لانه كان له شيء يجب ان يقال بل على العكس لقد فهم وفكر وافهم لانه تحدث حيث ان ما راج فى خاطره قبل ان يتكلم لم يكن فى شكل اولي يرمي الى قصد وانى له ان يقصد الافهام قبل ان يحصل عنده فهم هو نفسه ؟

ان التفكير واللغة : وجهان لواقع واحد ، ان الجد الاول للانسان لم يعبر عما فكر فيه لانه كان يفكر بل فكر لانه تكلم وهو لم يتحدث الا بعد ان انتهى من الحركة ، فللافعال اى ما يقابل الاسماء الاسبقية والمكان الاول والافعال آخر ما يضيع من الذاكرة ، ان اللعب وهو عمل جماعي من اول الحركات التي يقوم بها الطفل فكل لعب فى الحقيقة ملاعبة ، واداة اللعب بالنسبة للصبي غالبا ما تكون : هو من يلعب معه من اقرانه او من الكبار ، فالاتصال الاولي بين الصبي وعالم الاحياء هو الثدي وعند الفطام تلهيه بثدي لا لبن له او بأشياء جامدة . فاللعب عالم مصطنع بين الواقع واللاواقع اى حركات رامزة يتعدى الرمز عند الطفل دور الوساطة ويصبح غاية فى ذاته ، نعني ان الرمز فى الشعور كأنه الواقع ويصير الواقع شيئا اجنبيا (5) .

وان اول اداة للتعبير اخترعها الانسان هي الآلة مثل : الحجر والعصا وهذه الادوات ان هي الا افعال مجسمة : فالمفعول شيء مشترك بين الانسان والحيوان ، يقلع « الشمبانزي » غصنا من الشجرة ليستعمله كما يستعمل الانسان : العصا ، لكن الفرق هنا هو ان القرد يستعمل آلته فى الحالة الحاضرة فى حين ان الانسان يخلق بينه وبين الآلة صلات يملكها فيقول : هي لي . هي لك . هي لنا . فيدخرها ثم ينقحها ويطورها ومن هنا يكسبها معاني جديدة وكرد فعل لذلك تكسبه هي بدورها كلمات جديدة افعالا واسماء « فهناك « دياليتيك » للتطور الانساني فى علاقاته بالادوات ، يؤثر بها ثم فيها ، وهي بدورها تؤثر فيه ، فالانسان يتطور بقدر ما يطور ادوات العمل .

فالانسان يمتاز عن الحيوان فى علاقاته بالآلات فى كونه يستعملها ، وقد استعملها امس ويستعملها الآن ، ويحتفظ بها لما بعد وبمجرد ما اصبحت الآلة مصاحبة للانسان متصلة بالتاريخ تكونت حولها ، عادات جماعية نعني اعرافا تقنية تتوارثها الأجيال «صنع الآلة وكيفية استعمالها واصلاحها» والاستعمال مجموعة عمليات تنشأ عنها نتائج يرجوها العامل لفائدة مباشرة او للمبادلة اي الآلة اول واسطة بين الانسان والعالم ، بين الانسان والمجتمع ، فاللغة لا تنتعش الا فى البيئات الفنية بالآلات ، بالاشياء المصنوعة والمكتشفة ، لان كل لغة انما هي ادوات حضارية وان الجد الاول للانسان ، قد استعمل العصا فى الصيد ، وقلد صوت الحيوان ثم تلفظ بمسميات للعصا وللصيد وللصوت وللطير ، فالحياة تدور حول اشباع الحاجيات ، هذا الاشباع يدفع الى العمل والعمل يدفع الى اكتشاف الآلات او الى صنعها ثم ترقيتها .

هكذا تكثر الاتصالات المجتمعة حول اعمال مشتركة فتتجلى مختلف التعابير من علامات واشارات ولغات ورموز .

من هذا التحليل نصل الى اصل المعرفة واصل الاحداث التاريخية واصل المجتمع الانساني ، وبالتالي هنا : يبدا التفكير الفلسفي : ان الفلسفة بطبيعة وظيفتها تشتغل بمعرفة الانسان والعالم وعلاقاتهما ، فهى تبحث فيهما ، والبحث حديث ، والحديث نقاش كلامي ، والانسان هو الحيوان الذي يتكلم اى يصنع العالم بالالفاظ فتصبح كل لفظة اما مفتاحا لفهم او اداة مواصلة واتجاه واما تحديدا لسلوك فردي او جماعي، فالكلمات كالأوراق النقدية والأسلحة أو الخاتم السحري » يكفيه ان ينطق ليحدث شيئا فى شعوره ورد فعل فى شعور الآخرين ومن هذا التجاوب

الشعوري ينتج صدى ، يحرك الطبيعة الخارجية . فالكلام خلاق ، ان الكلمة الواحدة تحدث احيانا فسادا واحيانا اصلاحا ، واذا لم يتسبب عنها شيء محسوس عند المتكلم ، ربما حصل ذلك عند المستمعين او عند متكلم آخر مرة اخرى فالكلمة كالدرهم الذي يحتفظ بقيمته التداولية ، سواء انتقل الى بائع والى مشتر او لم ينتقل ، « ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة » فالبحث فى الكلمات من حيث تركيبها المادي، ومدلولاتها المحسوسة وآثارها النفسانية : يلتقي فى ميدان واحد مع كل بحث يدور حول الانسان وحول المعرفة ومن هنا كان التأمل فى اللغة فلسفة وعلما وبما ان اللغة حركات وعلامات واشارات ورموز ، اتخذتها الفلسفة واتخذها العلم اداة للتعبير هكذا نرى اللغة فى نفس الوقت مادة للبحث واداة له اذ انها تأمل ينعكس على ذاته .

واللغة ليست شيئا خاصا بفرد بل ملكا مشتركا انها « بين » بين المرء وشعوره وبين الشعور كحالات واحساسات وبين ابرازها كاحداث ، بين المعنويات والماديات ، بين الأنا والآخرين ، بين الانسان والعالم .

اللغة هي الواسطة العظمى والصغرى ، فى الغياب والحضور ، فيما كان وفيما هو كائن ، وفيما سيكون .

اللغة تعبير « الانا » ونداء للآخرين اي دعوة ودعاء فالمرء يعطي كلمة « الشرف » فيلزمه الكلام امام نفسه وامام المجتمع ، ويقيد سلوكه ، ويفرض عليه مسئولية ، ورجل لا كلمة له رجل ينقصه الضمير نعني ان أنسانيته غير كاملة ، فالكلام يرتفع من حركة التعبير الى مستوى العناصر « الانطولوجية » وربما استطعنا ان نقول : الانسان جسم وروح ولغة (6) .

بعد هذه الفذلكة الفلسفية فى الكلمة والمفهوم والتعبير ، نعود الى جوانب هامة من اللغة لها ثقلها فى الموضوع فاذا اردنا ان نعرف اهداف اللغة المكتوبة والمتكلم بها قال عنها ابن جنى فى الخصائص والجرجاني فى التعريفات : انها اصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وجدنا انها :

1 ـ اداة التفكير الانساني فالقاموس اللغوي الذاتي يشكل الى درجة كبيرة طبيعة التفكير واتجاهه.

2 ـ نقل الافكار والمشاعر من انسان الى آخر .

وهذان الهدفان ينبعثان من ذات الانسان كوجود مستقل ، ويتجهان اثر ذلك اتجاهين متضادين احدهما: الى خارج ذات الانسان يقوم بعملية نقل الافكار والمشاعر ، والآخر الى داخل ذات الانسان حيث يشكل طبيعة التفكير ونوعيته ، وكمحصلة لهذين الهدفين اللذين ينبعثان من ذات الانسان ينشأ الهدف الثالث وهو الهدف الاجتماعي والترابط الانساني والتفاهم البشري (7) .

وقد لخص العالم العلامة « اولبرت » وظائف اللغة الاجتماعية فقال :

1 ـ انها تجعل للمعارف والافكار البشرية قيما اجتماعية بسبب استخدام المجتمع للغة بقصد الدلالة على افكاره وتجاربه .

2 ـ وانها تحتفظ بالتراث الثقافي والتقاليد الاجتماعية جيلا بعد جيل .

3 ـ وانها باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد ، تعينه على تكييف سلوكه ، وضبطه حتى يلائم هذا السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه .

4 ـ وانها تزود الفرد بأدوات التفكير وما كان المجتمع البشري البصير الى ما هو عليه الآن بدون التعاون الفكري لتنظيم حياته . ولا يتأتى هذا التعاون الفكري الا بالتفاهم وتبادل الافكار بين افراد المجتمع ، والوسيلة العملية الميسورة لهذا التبادل والتفاهم هي : لغة الكلام ، وبدونها ينحط التفاهم الى مستوى التعبير عن المدركات المحسوسة والانفعالات الأولية (8)

فاللغة اهم مظهر لوجود الجماعة ـ والمحافظة على كيانها واذا تدرجنا الى مستويات المجتمعات الحضارية نجد ان اللغة عنصر ضروري لبقاء وتماسك وحدات هذا المجتمع ، فوحدة الغايات والمبادىء تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للاشياء والافعال وعناصر الوجود المختلفة تتجسد فى صورة لفظ واحد مشترك يدل على هذا الشيء او الفعل ، وبذلك يلعب اللفظ اللغوي دوره كرمز مشترك متفق عليه من كافة افراد مجتمع اللغة الواحدة .

فاللغة باعتبارها شرطا ضروريا لتماسك المجتمع انما تقع فى كونها من جهة ضربا من السلوك البيولوجي الخصيص بأدق المعاني ناشئا تلقائيا من المناشىء العضوية الاولى ، وفى كونها فى الوقت نفسه من جهة أخرى تضطر الفرد الواحد من افراد الناس ، ان يلتزم بوجهة نظر سائر الافراد الآخرين وان ينظر الى الأمور وان يجري عليها البحث من زاوية لا تقتصر على فرديته الذاتية وحدها ، بل تكون مشتركة بينه وبينهم

باعتبارهم شركاء او اطرافا متعاقدة وان شئت فهي مشروع مشترك ـ لا شك ـ قد يكون عنصرا من عناصر الوجود الفعلي الذاتي هو الموجه ، والهدف لنشوء اللغة ، ولكن الذي لا شك فيه ايضا انها تهم اول ما تهم شخصا آخر هو المستمع أو اشخاصا آخرين يوجه اليهم المتكلم الحديث فوسيلة التفاهم بين المتكلم والمستمع تقيم شيئا مشتركا ، ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من هذا الاشتراك تصبح عامة وموضوعية (9) .

واذا اردنا ان نعرف اللغة تعريفا جامعا مانعا ـ كما يقول علماء المنطق والاصول ـ على ضوء تحديد ماهيتها فاننا نجد ذلك في منتهى الصعوبة ولو تحقق الوصول الى تعريف جامع مانع فسنجد اننا انتهينا الى نص لا يمكن ان يكون تعريفا ابدا لان تعدد مظاهر اللغة، من صوتية الى كتابية الى اشارية حركية الى اشارية ضوئية ، الى لغة باللمس على طريقة المكفوفين ، الى غير ذلك ، لا بد ان يفرض على نص التعريف الذي نحاوله أن يطول حتى لا يعود تعريفا اذ يصبح وصفا مسهبا لعدة امور كل منها « لغة » ويبقى بعد ذلك ان يلجأ العلماء في تعريف اللغة الى بيان وظيفتها (10) .

وقد قال في محاولة التعريف بعض العلماء : ان اللغة وسيلة لايضاح الافكار وقد رد العالم « تاليران » على ذلك ، بأن اللغة وسيلة لاخفاء الافكار لا لايضاحها

وقد قال علماء آخرون : ان اللغة وسيلة للتعبير. وقد اعترض على هذا التعريف بأن المرء قد يتكلم الى نفسه احيانا ، حتى لا يكون بحاجة الى التعبير عن افكاره اذ يكون قد عرفها فعلا وادركها ادراكا اعمق مما تستطيع كلماته ان تعبر عنه .

وقال بعض العلماء : ان اللغة افراز حركي ضروري للفرد ، وصالح لأن يكيف بالكيفيات الاجتماعية ، وبهذا يمكننا أن نفسر كلام المرء الى نفسه وكلامه الى صاحبه .

وقال هنري دولاكروا : اللغة هي دالة الفكر .

والحقيقة ان اللغة في عمومها ذات وظيفة هامة جدا ، يمكن ان تلخص في امرين :

1) امر فردي : هو قضاء حاجة الفرد في المجتمع .

2) امر اجتماعي خالص : هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية ، فاما بالنسبة للشق الاول من وظيفة اللغة فواضح ان طبيعة التخصيص تبدو في وظيفة كل فرد بحيث لا يمكن أن يكون خبازا ونساجا وحدادا ونجارا وصيادا في وقت واحد .

ومن هناك كان على الفرد ان يعتمد في اموره على غيره من اصحاب هذه المهن وان يتصل بهم ، لقضاء حاجاته ولا سبيل الى هذا الاتصال ، ولا الى قضاء الحاجات الا بواسطة التفاهم ولا بد للتفاهم من لغة . ولو راقب المرء نفسه يوما واحدا في حقل الاستعمال اللغوي ، لرأى كيف يعتمد وجوده الى حد كبير على وجود اللغة بل ان مصالح الانسان قد تتوقف على حسن استخدامه للغة لا على مجرد الاستخدام .

واما الشق الثاني من وظيفة اللغة : وهو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية .

فان اللغة اصل وجذر لكل ما يمكن ان نتصوره من عوامل تكوين المجتمع ، كالتاريخ المشترك والدين المشترك والادب المشترك والفكر والاحساس والارادة والعمل المشترك اذ لا يقوم شيء من ذلك بدون اللغة وكيف يمكن تصور تاريخ بلا لغة ، او دين بلا لغة او فكر بدونها او احساس لا يترجم عنه بها ، بعد ان يتم تكوينه بواسطتها او ارادة تقوم بغيرها ، او عمل يتحقق بعيدا عنها ، ان الشركة في كل اولئك هي الحياة الاجتماعية ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (11).

ويعتبر بزوغ اللغة وبروزها الى الوجود اثناء عملية تطور البشر وارتقائه من المظاهر القائمة التي تمتاز بما لها من اهمية وخطورة بالغتين . وذلك ان الوسيلة الوحيدة الفعالة التي نتمكن بها من ادراك معنى الحياة وتوضح معالمها ونعت مظاهرها هي اللغة ، فمهمة اللغة هي تمثيل العالم على مرآة تعكسه وفلسفة اللغة تنطوي على انعاشها وتنسيقها بحيث تصبح مطية للمعاني ، ووسيلة للاتصال والتفاهم ، ورمزا للحقيقة وشارة للواقع .

فاللغة مجلى للفكر وترجمان له (12). وهي سبيلنا الى استكشاف جواني الامة التي تتكلمها واستكناه خصائص روحها التي تكمن وراء برانيها (13) .

ومما يذكر ان انظار العلماء والباحثين اختلفت في تعريف جامع مانع للغة طبقا للمناهج التي يدرسونها . ولذلك نرى فريقا يعرفها على أساس عقلي او نفسي ويمثل هذه المدارس ذلك التعريف الذي يقول ان اللغة استعمال رموز صوتية ، للتعبير

عن الافكار ونقلها من شخص الى آخر ومن مؤيدي هذه المدرسة العالم الامريكي : سابير .

وينظر علماء المنطق والفلسفة الى اللغة باعتبارها الوسيلة للتعبير عن الافكار فيقول الاستاذ « جفونز » في كتابه « مبادىء دروس المنطق » : ان للغة ثلاث وظائف :

أ ـ كونها وسيلة للتوصيل .

ب ـ كونها مساعدا آليا للتفكير .

جـ ـ كونها اداة للتسجيل والرجوع .

وينظر علماء المجتمع الى اللغة باعتبار وظيفتها في المجتمع فيعرفها العالم اللغوي الامريكي « ادجار ستيرتفنت » بانها : نظام من رموز ملفوظة عرفية بوساطتها يتعاون ويتعامل اعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة .

ومن التأمل في هذه المجموعة من آراء العلماء يتبين ان تعريف علماء النفس والمنطق يهدف الى ناحية واحدة لا يتفق والمطلوب من اللغة في المجتمع الانساني لانها لا تقف عند حد التعبير عن الافكار ، وتوصيلها الى الاذهان كما يقول علماء المنطق ، لان ذلك يقصر وظيفة اللغة على طبقة من الناس وهم اهل الفكر حال اشتغالهم بامور فكرية .

ولا يمكن ان يقال ان اللغة اداة لنقل الافكار ، وانما هي وسيلة للتعاون والترابط بين افراد المجتمع ، فاننا نتبين كثيرا من الناس يتكلمون في موضوعات وليس يعنيهم نقل افكارهم الى غيرهم وانما يكون القصد من حديثهم الترفيه والتسلية او النظر في أمور تخصهم في ادارة شؤونهم وبذلك يبدو ان راي علماء المجتمع بتعريفها تعريفا يتناسب مع وظيفتها في المجتمع هو خير ما تعرف به اللغة ، واذا كان ذلك صحيحا ، فينبغي ان نشير الى تعريف الاقدمين للغة وهو انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم (14).

وهذا التعريف ذكره الجرجاني في التعريفات ، وابن جني في الخصائص وابن منظور في اللسان ، ومن الملاحظ ان هذا التعريف ، قد تمشى مع وجهة علماء المجتمع تمشيا دقيقا لان الاصوات ما هي الا الرموز الصوتية التي تنبىء عن مدلولات خاصة للتعبير عما يحتاج اليه انسان في حياته سواء كان احتياجا عاديا كشؤون الناس ، في حياتهم المتمشية مع احتياجاتهم في كل اوقاتهم ، ام كان احتياجا ضروريا كاحتياج الباحث للتعبير عن افكار القائمة بنفسه لتوصيلها الى اذهان الدارسين .

وان اللغة ذات اثر قوي في حياة المجتمع الانساني لانها السبيل لفهم الاشياء المحيطة بالناس والطريق لارتباط افراد المجتمع بعضهم ببعض ، والموصل للافكار القائمة بالاذهان والمهيئة لرقي الامم في شتى نواحيها (15) .

وقال العالم « جون لوتز » : الوجود البشري ملتحم باللغة ، فاللغة ظاهرة انسانية اجتماعية تصاحب سلوك الناس في كل لحظة وترافق المجتمعات في اطوارها التاريخية المتلاحقة فيصيبها ناموس التغير الحتمي الذي يجعلها اداة صادقة للتعبير ، باللفظ والرمز والايحاء عن حياة المجتمعات العقلية والحسية ومعيارا دقيقا لرقيها وانحطاطها في ميدان الثقافة والعلم والحضارة .

واللغة لذلك لا تعرف التحجر ، وهي قادرة على العمل قدرة كاملة وهي لا تفتأ تتغير شكلا ومبنى تتغير حروفها واصواتها او صيغتها وبناؤها او من ناحية معناها ، فقد تنقل الكلمة من معنى الى آخر او تضيف الى معناها معنى آخر جديدا دون ان تترك الأول .

وان تطور لغة ما مرتبط بتطور الاقوام التي تنطق بها واللغة والتطور عنصران مترابطان وهما سمة المجتمعات منذ اقدم العصور ولا سبيل الى تفضيل لغة على اخرى وانما يكون التفاضل بين الوسائل المتبعة لتنمية اللغات واغناء تراثها التعبيري .

الامة ابدائية حتما لغتها بدائية وغير مصقولة ومفتقرة الى عديد من الالفاظ التي تؤدي المعاني الحسية والمجردة ، فهي تقتصر على التعبير عن تفكير هذه الامة ووسائلها الثقافية المحدودة وكلما ازداد تفكير المجتمع اتساعا ، وثقافة ونموا تطورت لغته وازدادت قدرتها على التعبير واعطاء كل سمة لفظا مناسبا ، ان اللغة تمنح الانسان بالاضافة الى وراثته البيولوجية خطا آخر للاستمرار يجعل الثقافة وتراكم المعرفة امرا ممكنا ، وقد اتاح العلم الحديث للغة ممكنات ووسائل متعددة للتعبير عن دقائق الاحكام العقلية في صورها النظرية والتطبيقية كما اتاح للالفاظ المعنوية المجردة انطلاقات جديدة مالت بها نحو وضوح اكثر وتخصيص ادق ، واصبحت الكلمات بفضل تقدم الادب والفنون ، غنية بالايحاءات التي

تعمقت اغوار النفس البشرية حتى صار عدد من الفاظ اللغة : عالما من الاشارات والرموز المعبرة عن ادق المعاني المجردة واعمقها (16) .

وشواهد الماضي وتجارب الحاضر فى الشرق والغرب تثبت فى وضوح ان اللغة على الاطلاع هي 'قوى عوامل الوحدة والتضامن بين اهلها حتى لقد ذهب العالم اللغوي « ادوارد سابير » الى ان اللغة هي على الأرجح ، اعظم قوة من القوى التي تجعل الفرد كائنا اجتماعيا ، ومضمون هذا الراي امران : الاول ان اتصال الناس بعضهم ببعض فى المجتمع البشري ، لا يتيسر حصوله بدون اللغة . والامر الثاني : ان وجود لغة مشتركة بين افراد قوم او امة من شأنه ان يكون هو نفسه رمزا ثابتا فريدا للتضامن بين افراد المتكلمين بها (17) .

وقال الفيلسوف « فشته » : ان اللغة تلازم الفرد فى حياته وتمتد الى اعماق كيانه ، وتبلغ الى اخص رغباته وخطراته انها تجعل من الامة الناطقة بها كلاما متراصا خاضعا لقوانين . انها الرابطة الوحيدة الحقيقة بين عالم الاجسام وعالم الأذهان (18) .

ولنتعمق فى مفهوم اللغة فاذا هي اهم واعز ما ملكته النفس البشرية من حيث جريانها فى عروق الانسان مجرى الدم ، حتى أن كل تعد حيالها يعتبر تعديا حيال الشخصية الانسانية ، وهناك من الفلاسفة علماء اجلاء حاولوا تفسير اللغة باصطلاحات فلسفية دقيقة فمن قائل : انها ليست الا مجموعة اختلقها الفكر البشري وامكن تعديلها حسب المباديء الموضوعة من قبل وقد بذلت جهود جبارة فى سبيل ابداع لغات مصطنعة الا انها باءت بالفشل كما شهد بذلك تاريخ الانسانية وكثير من علماء اللغة ، يرون ان نشاة اللغة وازدهارها راجع الى العواطف الانسانية وهذا هو الاقرب الى الصواب ، لان اول مدرسة يرى فيها الطفل هي : مدرسة الامومة وفيها يرضع الطفل من امه اللغة كما يمتص خصائصها الذاتية تماما بتمام .

ويمتاز لسان الانسان بقدرته على التعبير عن الاحاسيس والمشاعر تعبيرا ذا قوة ودلالة ، والفكر الانساني له الاهمية العظيمة فى سبيل تقدم اللغة ونموها وازدهارها . فاللغة هي الصق الاشياء بالانسان واعسرها انفكاكا عنه ، وهي الرابطة التي تربط بين انسان ومعاني الحياة والكون والمجتمع .

جاء فى « الأبنيشد (19) (*) » ان لم يكن النطق موجودا لم نهتد سبيلا الى معرفة الحق ولا الباطل ولا الصدق ولا الكذب ، ولا الفرح ولا السرور ، والفضل لفهمنا لمعنى هذه المظاهر وادراك مفهوم هذه المشاعر يرجع الى النطق ولذلك حق لنا ان نتبصر فى النطق ونتعمق فيه (20) .

وقال العالم الهندي « همايون كبير » لعمري ان ذلك ــ النطق ــ من الآلاء التي خصص الله بها الانسان دون سائر خلقه من انه يقدر على تحليل الموقف وتفكيكه ، فاقتباسه منه النتائج الممتعة ثم تطبيقها فى ظروف اخرى ملائمة حيث دعت الحاجة الى ذلك . ولا شك ان معظم الفضل فى ذلك عائد الى لسان الانسان ، وان التقدم فى اللغة يدل على مدى التقدم الذي احرزه المجتمع او افراده ونخرج من كل هذا الى أن أساس اللغة ينبعث عن التأثيرات العاطفية وتقدمها ورقيها ، ويرد الى التفسح فى الفكر وتغلب البشر العلمي على العالم ، الا انها قد تتسامى فتجاوز حدود العواطف والفكر كليهما ، حيث انها تنشيء رباطا يربطها فترتد وسيطا ومحيطا معا وهي ولا شك اوسع نطاقا وافسح مجالا فان الكل فى مجموعه اوسع واكبر من اجزائه (21) فاللغة عنصر ضروري لبقاء وتماسك وحدات المجتمع أى مجتمع وهي مشروع مشترك قد يكون عنصر من عناصر الوجود الفعلي الذاتي هو الموجة والهدف لنشوء اللغة واللغة تهم أول ما تهم شخصا آخر هو المستمع ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من اشتراك يربط بين المتكلم والمخاطب تصبح اللغة عامة وموضوعية .

واللغات فى تصنيف بعض علمائها تنقسم على حسب الاجناس والسلالات التي تتكلمها ولكنه تقسيم يعتريه الاختلاط لاشتراك الامم فى لغة واحدة او عائلة لغوية واحدة مع انتمائها الى اصول متباعدة وخير منه ان نقسم اللغات على حسب تكوينها وتكوين قواعدها ، وعوامل التصريف فى مفرداتها وتراكيبها ، وهو تقسيم يضبط الفوارق ضبطا كافيا للموازنة بينها والمقابلة بين عوامل الفهم والاختيار وعوامل التقليد والاضطرار فى تراكيبها وتعبيراتها .

وتنقسم اللغات من حيث التكوين : الى لغات النحت ولغات التجميع ولغات الاشتقاق ، فلغات النحت هي التي تتكون فيها الاسماء والافعال والصفات

(*) الأبنيشد : مجموعة كتب هندية فى الفقه الهندوسي .

بادخال المقاطع الصغيرة او الحاقها بها ، وتسمى لغات النحت احيانا باسم اللغات الغروية فى اصطلاح الاوربيين Agglutinating لان مفرداتها تلصق لـ ـقا لتنويع معانيها ، كما نلصق ادوات البناء بالغراء .

ولغات التجميع هي : اللغات التي تعتمد على اللصق كما تعتمد عليه اللغات الغروية ولكنها تعتمد قبل ذلك على « التنغيم » لتنويع المدلول ، والتمييز بين الصفات والظروف وبين الاوقات والاجناس ، وغيرها من معاني الجمع والتثنية والافراد وقد تسمى لغات التجميع احيانا باللغات المنفصلة Isolating لان الكلمة فيها تنفصل بصيغة واحدة لا تتغير حروفها وانما يتغير المعنى بضم صيغة منها ، الى صيغة اخرى بترتيب متبع او بغير ترتيب يلتزم فى جميع الاحوال ومن فروع هذه اللغات ما تتكون اسماؤه وافعاله من جملة تتالف من عدة مقاطع واجزاء وتسمى لذلك بلغات التركيب الكثير Polysynthetic اما لغات الاشتقاق فهي اللغات التي يعم فيها الفعل الثلاثي فى كل مادة وتجري قواعد الصرف فيها على المخالفة بين الاوزان بحسب معانيها ويكثر فيها اختلاف الحركة ، فى اواخر الكلمات اتباعا لموقعها من الجملة المفيدة .

ويشيع النحت فى اللغات الهندية الجرمانية كما يشيع التجميع فى اللغات المغولية ولغات القبائل الامريكية الاصيلة ، اما الاشتقاق : فهو من خصائص اللغات السامية وتكاد اللغة العربية من بينها ان تنفرد بعموم الاشتقاق واطراده مع تحريك اواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل المفيدة .

وربما اتفق اللغويون على قواعد عامة ، عملت فى تطور هذه اللغات جميعا ولم تختص لغة دون سائرها ومن هذه القواعد العامة أن الكلمات الانفعالية التقليدية، اسبق من الكلمات الارادية الفكرية ويريدون بالكلمات الانفعالية ما يصدر عن الانسان عفوا من الاصوات والصيحات التي تعبر عن الفرح او الفزع او الدهشة وما تكون الكلمة منه احيانا من قبيل المحاكاة الصوتية Onomatopoeia كاسم البلبل والكوكو والفاظ الدق والقطع والوسوسة وما جرى مجراها .

ويريدون بالكلمات الارادية الفكرية كل ما يقصده المتكلم ويجري فيه على القياس والاستعارة واطلاق القاعدة الواحدة على المتشابهات لفظا او المتشابهات لفظا ومعنى .

واكمل اللغات على سنة التطور والتقدم تلك اللغات التي انتظمت قواعدها الصوتية Phonologic وقواعدها الصرفية Morphologic وقواعد التركيب والعبارات .

ثم يضاف الى الظواهر الصوتية فى قياس تطور اللغات ظاهرة التمييز والتخصيص فى الصفات اجمالا وفى المفردات على التعميم كالتمييز بين المذكر والمؤنث والجماد ، وبين المفرد والمثنى والجمع ، وبين جمع القلة وجمع الكثرة وبين الصفات العارضة والصفات اللازمة وهي جميعا من المزايا التي تمت للغة العربية على مثال لم تسبقها اليه لغة من لغات الحضارة .

فقيام اللغة على القواعد الفكرية دليل يثبت لها السبق على لغات الارتجال الجزاف ، فى وضع الكلمات ، سواء بالمحاكاة الصوتية ، او بالتكرار على غير قياس وشيوع القاعدة فى فعل كل مادة وفى الاسماء والصفات منها دليل على سبق التفكير فى التعبير ، وتعميمه على الاحداث والمعاني غير موقوف على اصوات الانفعال والمحاكاة ويتبع ذلك شيوع الاستعارة وامكان الجمع بين الوضع الحقيقي والوضع المجازي فى كلام المتكلم لتوسيع المعاني وبناء الكلمات على المضاهاة بين المدلولات (22) .

وعلماء اللغات : صنفوا اللغات وبوبوها وحللوها فوجدوا بينها اشباها ، استطاعو بناء عليها ان يصنفوها ثلاثة اصناف على قدر الامكان وهي صنوف ليست متميزة بعضها عن بعض كل التميز ، ولا متفاصلة كل التفاصل .

1 ـ الصنف الاول : اللغات العازلة : وهي لغات فيها الكلمة الواحدة غير متغيرة لا تشتق منها كلماتها : انها اسم وفعل وصفة وظرف ، فى آن واحد واكثر هذه اللغات كلماتها ذات مقطع واحد ، واكثرها عندها للكلمة الواحدة اكثر من صوت واحد ، تنطقها نغمة عالية او تنطقها نغمة منخفضة او تنطقها متطاولة او تنطقها متقاصرة ولكل من هذه الانغام للكلمة الواحدة معنى بذاته .

وتتعدد الانغام وتختلف ، فاللغة الصينية الكنتونية بها ست نغمات وكذا السيامية ، اما لغة برما فلها نغمتان . ومن اللغات العازلة Isolating اللغات الصينية التبتية ، ومن اللغات العازلة كثير من لغات افريقيا ، وهي تبلغ ما بين خمسمائة الى سبعمائة لغة .

ومن اللغات الهندية الاوربية ـ وهي غير عازلة ـ لغات مالت الى هذا المزاج العازل بعض الشيء لا سيما الانجليزية ، مثال ذلك لفظ Light انه اسم وفعل وصفة : النور أو ينير أو منير ويفرق بين المعاني الثلاث موضع اللفظ من الجملة اى السياق .

2 ـ الصنف الثاني اللغات اللاصقة وهي التي تؤلف الكلمات فيها باللصق فيتغير معناها ويتبدل واللصق يكون باضافة مقطعين بعضا الى بعض فتكون كلمة لها معنى جديد، او قد نصنع الكلمة من أكثر من مقطعين . وهذا الصنف اللاصق Agglutinative من اللغات هو اكثر الصنوف الثلاثة فى اللغات عددا ، وهو يتضمن اللغة السومرية القديمة ولغة اورال والقوقاز واللغات الدرفيدية واليابانية والكورية ولغات المحيط الهادي واللغات الافريقية واللغات الوطنية لمواطني امريكا الاصليين .

3 ـ الصنف الثالث : اللغات المتصرفة وهي اللغات التي تدخل كلماتها التصريف ، فالكلمة يتغير بناؤها فتدل على جديد ، كتب ، يكتب ، كاتب ، مكتوب ، كتاب ، اكتب . وما الى ذلك ، ويدخل فى هذا الصنف اللغات الهندية الاوربية وكذا اللغات السامية ومنها اللغة العربية وكذا الحامية ويلاحظ ان بعضا من هذه اللغات المتصرفة Infectioned ما يضيف الى الكلمة مقطعا تصدر به الكلمة فيتغير معناها Prefix اى سابقة ، او مقطعا تذيل به الكلمة فيتغير معناها Suffix اى لاحقة او كاسحة وهذا من صفة اللغات اللاصقة ، لا « المنصرفة » ومعنى هذا ان اللغات قد لا تكون لاصقة خالصة او متصرفة خالصة ومثال اللغات المتصرفة التي مالت الى اللصق اللغة الانجليزية فنقول : Hope ومعناها « الرجا » ونقول Hopeful ومعناها « ملىء بالرجاء» ونقول Hopeless ومعناها « لا رجاء فيه » ، ونقول Sense ومعناها « معنى » ونقول Nonsense ومعناها « لا معنى له » وهلم جرا .

واللغات من حيث مرونة نظام ترتيب الكلمات وعدمه تنقسم الى ثلاثة اصناف :

1 ـ اللغات الحرة : وهي اللغات التي لا يخضع نظام ترتيب الكلمات فيها الى قواعد لازمة كالاغريقية واللاتينية بل تحدها قوانين الاسلوب والمفاضلة بين اسلوب وآخر وتخصيص اسلوب معين بمجال من القول لا يصح معه استعمال غير هذا الاسلوب او هذا الترتيب وعليه فمثل هذه اللغات لا تخضع لنظام لازم فى ترتيب الكلمات ، تأليف الكلام ، وانما يفاضل بين نظام ونظام من حيث البلاغة ، ويخصص نظام بمجال يختلف عما يخصص للمجال الآخر من دون ان تكون هناك قواعد لازمة .

2 ـ اللغات المستقرة : وهي اللغات التي تتبع فى ترتيب الكلمات لتأليف الكلام نظاما مستقرا كالانجليزية والفرنسية استقرارا يكاد يقرب من الجمود فليس للمتكلم باحدى هاتين اللغتين ان ينتقل بالكلمة من مكانها المعين فى الجملة . واللغات غير المعربة غالبا تتصف اكثر من اللغات المعربة بصفة الاستقرار فى نظام ترتيب الكلمات ليمكن تبين العلاقة والصلة بين الكلمة والتي تليها فللفعل موضع وللفعل آخر وللمفعول ثالث وهكذا .

3 ـ اللغات الوسط : وهي اللغات التي لا يكون نظام ترتيب الكلمات فيها حرا ، كما فى اللغة الاغريقية واللاتينية ولا مقيدا ثابتا ، كما فى اللغة الانجليزية والفرنسية ومن هذه اللغات الوسط اللغة العربية اذ ان نظام ترتيب الكلمات فيها على ثلاثة اضرب ، أحدها : ما عينه الواضع وحكم به على سبيل الوجوب فيعد مخالفة مخطئا ويخرج الكلام الخالي من مراعاته عن الاسلوب العربي كتأخير التمييز عن المميز ، والمضاف اليه عن المضاف ، ثانيهما : ما عينه الواضع ايضا ولكنه قضى به على وجه الاصالة واعتبار ما هو الاولى ولا تخرج العبارة بمخالفته عن حدود العربية كتقديم اسم من مصدر الفعل على اسم الذات الواقع عليها والبحث عن اسرار ما كان من قبيل هذين الضربين مثبتا فى مدارج علم النحو ، ثالثها : ما لا يقتضيه الوضع على التعيين وجعل امره دائرا على رعاية ما يناسب المقام وتعينه بحسب التراكيب المخصوصة موكول الى المعية المتكلم وحسن تصرفه كتقديم المفعول على الفعل لافادة اختصاصه به وعدم تعلقه بغيره والبحث فى هذا القسم ووجوهه المناسبة متدرج فى موضوع علم البيان (24) .

وقديما كان مسلك اللسانيات ، تشبيه الكلمات مع الأخرى يلاحظ بلا نظر الى السلسلة التاريخية وأسباب التطور التي وقعت فى مضي الزمن وغيرت مظاهر اللغات . لكن العلم الجديد يعتبر تطور الاصوات وأسبابه بين اللغات المختلفة لأجل تقريبها وتصنيفها. التشابه الظاهري وحده لا يدل على قرابة اللغات فقط، انا أضرب مثلا واحدا واعتقد انه يقنع فى هذا الصدد والكلمة الفرنسية Larmes الدموع ، والكلمة الالمانية Zahre لا تتشابهان مع أنهما من أصل واحد وتطورت الاغريقية واللاتينية Dakinuma عبر القوطية والالمانية القديمة الى جديدها ، وعلى هذا المسلك ضبط اللغويون أسر اللغات الى الآرية واورال تارة والى السامية تارة اخرى .

واللغات الآرية منحدرة أصلا من اللغة الهندية السانسكريتية ولذلك تسمى احيانا الهندية الآرية ولهذه العائلة ميزة خاصة جديرة بالملاحظة الا وهي فقرها بالافعال .

وقد يبدو هذا الراي لاول وهلة غير منطقي فيتساءل البعض كيف تستطيع تلك اللغات الآرية أن تعبر عن جميع أساليب الافعال ، والجواب بأنها تستطيع ذلك ولكن باستعمال حروف مستقلة لكل منها صوت وتكوين مختلف تربط بعضها وساطة مقاطع شتى تكتب امام أصل الفعل وقد امتازت اللغتان اليونانية واللاتينية القديمتان بمعين لا ينضب من الكلمات ، اشتقت منها جميع المصطلحات العلمية فى الحياة الحديثة مع فقرهما فى الافعال وكيف حدث ذلك ؟ لنورد الآن مثلا :

فكلمة نفخ باللاتنية Spirare قد اضيف امامها مقطع Con ، ومعناها يساوي الحرف « مع » فاصبحت Conspirare نفخ معه يعني : مؤامرة واذا أضيف امامها مقطع In ومعناها يساوي الحرف « فى » أصبحت Inspirare ومعناها « الهم » . واذا اضيف امامها مقطع Ad يعني « الى» أصبحت Adspirare يعني طمح . هكذا يمكن استنباط كلمات كثيرة من أصل واحد واللغات المنحدرة من اللاتينية : الطليانية والفرنسية والاسبانية واخرى ورثت هذا النظام اللغوي (25) .

نسأل الان : لم كانت أسباب اختلاف اللغات المنحدرة من أصل واحد ، وجوابنا انه يرجع الى تغيير البيئة مع عوامل طبيعية « فيزولوجية » وكثيرا ما ينطق الاحفاد بعض الاصوات بطريقة مخالفة لما فعل أجدادهم واليوم نستطيع ضبط نطق الاصوات بواسطة آلات مدققة مثل الحاكي Grammophone وماغنتوفون .

وعلاوة على العوامل الطبيعية ، وجد عامل تاريخي مؤثر فى النطق كاختلاط العناصر والشعوب بعضها ببعض واذا حللنا أسباب اختلاف اللغات وصلنا : الى نتائج طريفة فاللغات الهندية الآرية ذات الفروع المتشعبة يختلف بعضها عن بعض الى حد يجعلها تبدو لاول وهلة غريبة بعضها عن بعض .

فاللغة اليونانية القديمة على كراهيتها للحروف الساكنة المركبة واللغات الصقلبية (الصلاوية) ذات الحروف الساكنة المزدوجة والمثلثة منحدرة من نفس الاصوات الآرية .

واللغة الطاليانية ذات النغمات الموسيقية واللغة الالبانية المحشوة ابنتا عمومة ومن اليسير علينا كشف هذه العلاقة فى كلمتي Inpret الالبانية و Imperafor اللاتينية .

وما هو السبب الذي جعل تلك اللغات تسير فى هذه الطرق المتباينة ؟ اذا عرفنا الظروف المادية التي كانت تعيش فيها الشعوب القديمة استطعنا تفسير هذه الظاهرة .

فالاكتشافات الفنية الآلية ساعدت الانسانية فانقذتها من المضار الناشئة من الطبيعة . لقد كانت الجماعات البدائية اكثر تعرضا لقوى الطبيعة مما نحن عليه حيث نتمتع بالتدفئة المكيفة والمذياع والطيارة النفاثة الى آخره .

واللغات التي انفصلت عن أصلها المشترك فى العصور القديمة ما لبثت ان منيت بتغييرات اساسية نشأت عنها لهجات متباينة ، لقد أصدر «دانيال ويستر» فى معجمه العظيم منذ أكثر من قرن حكمه على اللغة الانجليزية فتنبأ أن اللغة الانجليزية فى امريكا ستنفصل عن أمها ـ اى اللغة الانجليزية القح ـ الى حد ان الانجليز والامريكيين سيكتبون ويتكلمون لغتين مختلفتين فلا يستطيعون التفاهم .

بيد أن هذا التنبؤ كان مخطئا ؟ ففي خلال ذلك اخترع البخار والكهرباء والاذاعة وتقدمت الصحافة فربطت بميثاق من حديد ، ضفتي المحيط الاطلسي وما زال الشعبان متفاهمين كسابق عهدهما .

نعم ان بينهما بعض الفروق فى النطق والاسلوب لكنهما نتيجة التطور التاريخي . ويمكن ان نفرض انه لولا المخترعات الآلية لانفصلت امريكا عن انجلترا قبل التاريخ المعروف (26) .

واذا اردنا ان نعرف اصول اللغات وهل هي من اصل واحد ام من اصول متعددة وجدنا ذلك فى منتهى الصعوبة ، فالعلم لم يكشف الآن اصول اللغات الاولى ولم يعرف اي الاصول من اللغات التي توصل اليها اصل الا انه مما لا يسوغ انكاره ان العلم لم يعرف الكلمة الاخيرة فى هذا الموضوع ولعله ياتي بجديد يوصل الى قديم ، ممتدة جذوره فى الماضي السحيق ، ولغات العالم التي هي من اصول غير معروفة نذكرها فيما يلي:

1) السامية وفروعها وهي : العربية والحبشية والحامية والعبرانية والبابلية .

2) الملاى والبولينيز

3) الدرافيدية

4) البنتو

5) الاوربية الهندية وهذه تتفرع الى :

ا ـ الايرانية الهندية وهي : الافغانية الاردو، الهندستانية ، البنغالية ، الكردية ـ السيلانية ، الفارسية ، السنسكريت .

ب ـ السلتية وهي : الويلزية ، الارلندية ، البريتونية .

ج ـ الالبانية .

د ـ الجرمانية التيتونية وهي : الدنمركية الانجليزية ، والالمانية ، السودية ، الايسلندية ، النرويجية .

هـ ـ البلطيك : وهي : اللثوانية والليتية .

و ـ السلافية وهي : البولاندية ، والروسية، البلغارية ، التشيكية ، السلوفاك ، السلوفين .

ز ـ الارمنية .

ح ـ ا ـ اللاتينية : ب ـ الايطالية الرومانية وهي : الرومانية البرتغالية ، الاسبانية، الفرنسية ، الطليانية .

ط ـ اليونانية . هذه هي شجرة اللغات الاوربية الهندية .

6) اليابان : كوريا .

7) الاورال وما اليها .

8) منغوليا .

9) الصين وتبت «الهند الصينية» وهي : الصينية، تيلاندية ، برماوية ، وما اليها (27) .

هذه اصول لغات العالم وهي تعطي فكرة عامة عن عائلات لغات الارض المختلفة وما تفرع منها ، والفرع الواحد يحمل لغات متشابهات .

ولا شك ان جذورا نشأت منها اللغات ، لكن التاريخ طواها وهي اليوم ترقد فى اعماقه يعجز الانسان عن استشفافها وليس للانسان الا الحاضر من هذه اللغات وهذه اللغات الحاضرة انما هي انسال تلك اللغات البعيدة الغابرة والولد كثيرا ما يحمل من اجداده سمات تدل عليهم مهما طال الزمن ، بل كل الكائنات الحية تحمل الخصائص الذاتية لآبائها تبعا لقانون الوراثة مع موافقة قانون التطور العام كذلك اللغات تطورت مع الزمن تبعا للقانون العام ، الا ان الخصائص الوراثية تدل على الاصل أو ترشد اليه .

واللغة تراث اجتماعي يرثه الجيل اللاحق من الجيل السابق فهي تراث اجتماعي تقليدي مورث يرثه ويتطبع عليه ويحاول أن يسير على وفقه كل متكلم لاية لغة او لهجة .

ولما كانت اللغات هي : مجموعة من الرموز الاصطلاحية من حيث المفردات ومجموعة من القواعد النحوية الاتفاقية من حيث ضبط تلك المفردات ومجموعة من النظم الاتفاقية التقليدية ايضا ـ من حيث تأليف وتركيب تلك المفردات ، فهي لهذا لا تخضع لمنطق عقلي عام . لانها اصطلاحية ، اتفاقية ، تقليدية، موروثة او بتعبير آخر : ان اللغة من الامور الاعتبارية والامور الاعتبارية لا يشترط فيها ان تكون عامة بين الناس جميعا الا اذا اتفقوا على ما هو معتبر، اما اذا فقد عنصر الاتفاق اختلف الناس فيما هو معتبر .

وحيث ان اللغة من الامور الاصطلاحية الاتفاقية التقليدية غير المتفق عليها بين الناس لهذا اختلفت اللغات ، فكان لكل لغة مفرداتها الخاصة بها ، وقواعدها ونظمها ، واللغة لشدة التأثير بها والتطبع عليها تبدو

لتكلمها وكأنها من الامور الطبيعية . ويبدو ما يخالفها شاذا غريبا لا يقبلونه الا فى حدود معينة (28) .

النمـــو والتطـــور :

حياة الانسان لا تستقر على حال : علومه تتطور وأفكاره تتسع ، وحضارته تتقدم ، وحياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هي الاخرى تتطور وتتقدم ، وهذا يعني انه فى حياة الانسان الجديد من المعاني التي تتطلب وضع الفاظ لها ، لهذا يلجأ الانســـان الى لغته ، بمفرداتها وقواعدها ، يستعين بها يضع لهـذه المعاني الفاظا او ينقل الفاظا من معانيها التي وضعت لها الى هذه المعاني الجديدة لتدل عليها فان لم يجـد الانسان فى لغته ما يسعفه لجأ الى الاقتراض من لغات اخرى ، وقد يصقل ما يقترض بمصقل لغته لينتظم فيها وكأنه منها ؛ ولا يقتصر الامـر على الالفـاظ بـل يتعداها الى الاساليب فهي الاخرى تنمو وتتطور . فاذا بأساليب لا تعرفها اللغة فى زمانها السابق تدخل فى زمان لاحق كل ذلك لان حياة الانسان تنمو وتتطور ، واللغة اداة ووسيلة فلا بد لها من ان تسايـر تطـور الانسان والا ماتت لان حياتها بوفائها .

والذي يرجع منا الى صورته وهو طفل وصورته وهو شيخ طاعن فى السن وصورته وهو شاب او صبي او كهل يرى التغير والتبدل الذي اصاب كيانه واضحا فيما تنطق به الصور ولكن الانسان لا يلحظ هذا النمو والتطور والتغير والتبدل بل يلحظ نفسه وهو فى يومه ويعلق فى ذهنه عن امسه بعضه لا كله واللغات شأنها شأن الانسان ، فهي تتطور وتتغير وتتبدل وكل هـذا يحدث فى البنية اللغوية فى الامس الغابـر واليـوم الماثـل .

وعمر اللغة لا يقاس بعمر الانسان ، اذ منها ما بين مولدها وعصرنا المئات من السنين فنصفها بأنهـا حديثة وما هي بالحديثة . واخرى ما بين مولدهـا وعصرنا الالوف من السنين ونصفها بانها قديمة ومـا هي بالقديمة ، لاننا اذا رجعنا الى اصولها او الى اصل الاصول كان عمر اللغة المئات من آلاف السنين بـل الملايين منها ، فهل يمكن ان يلحظ هذا النمو والتطور والتغير والتبدل فى هذا الامتداد الزماني ؟ الحقيقة لا، اما لماذا ؟ فالاسباب :

ان اللغة الأم لم تخلف لنا الآثار ما يدل عليهـا وبتطور الانسان تطورت لغته الى لغات وكان التطـور تدريجيا . فنسي الانسان امس لغته وعاش حاضرها فانقرض ما انقرض وعفى الزمان على ما انقرض فنسيته الاجيال ، اما بالنسبة لاصول لغات عالمنـا الحديـث فالتي ولدتها ام وكانت ولادتها حديثة . عرف أصلهـا اى امها كاللغات المولودة من اللاتينيـة . اما ما كانـت ولادتها قديمة ، فقد نسيت امها . ومن اللغـات مـا دونت مفرداتها وقواعدها ونظمها اللغوية فى الاسفار . ومنها ما خلف امسها آثارا فأمكن ان نتبين بعض ـ لا كل ـ صور تطورها وتغيرها وتبدلها . ومنها ما لـم يدون فى الأسفار ولم يخلف امسها الآثار . فلا تعرف عنها الا صورتها الحاضرة ان لم تكن قد انقرضـت . ونعود الى لغات العالم التي تحتفظ بصـور تغيرهـا وتبدلها وتطورها ونسأل هل تعطي هذه الصور واقعا يطابق واقع اللغة وهي تتطور وتتبدل فى الامتـداد الزماني لهذا التطور والتبدل ، الحقيقة لا : لان هـذه الصور نسبية تماما كصورة الشيء لا تعني انها حقيقة الشيء بكل كيانه ومقوماته وصفاته فكم من الالفـاظ بادت . وكم من الاساليب عفى عليها الزمن . وكم من القواعد والنظم لم تصل اليها اجهزة المصور اللغـوي فانساها الزمن .

وسؤال آخر يقفز الى الذهن ويتطلب الجواب !

ما هي اسباب النمو والتطور والتبدل والتغيـر والانقراض فى اللغات ؟ والجواب على ذلك اننا نجـد اهم تلك الاسباب فيما ياتي :

(1) النمو والتطور والتغير والتبدل فى حياة الانسان نفسه وهذا يدفعه الى ان يضع لما يجـد من جديد الفاظا واساليب ونظما لغوية .

(2) نقل الالفاظ الموضوعية للمعانـي . فتطـاول الزمان يدعو الى وضع الفاظ جديدة .

(3) من المعاني ما يرتبط بعصر من العصـور فاذا انقضى العصر لا تكون هذه المعاني من التراث الفكري والحضاري للجيل اللاحق فتهمل ثـم تنسى باهمال الفاظها .

(4) عدم وفاء اللغة بحاجة الانســان الى التعبيـر والتفاهم وحفظ ونقل وتخليد تراثه الفكـري والعلمي والادبي وازاء ذلك يضطر الانسان الى ان يغير ويبدل أو يهجر لغته .

(5) التحريف والتغيير والتبديل فى اللغة قد يستقر فى دلالته فيخرج الاصيل حتى ينسى .

(6) ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية اتفاقية غير مستقرة . لهذا قد تلد لغات او لهجات ، وقد تستقر هذه اللغات او اللهجات المولدة ، وتهجر اللغة الام .

(7) تسرب الدخيل والمولد الى اللغة مع عدم الحاجة اليهما وبمرور الزمان قد يتغلب الدخيل والمولد على الاصيل .

(8) تجاوز الامم واختلاط الشعوب سبب من اسباب تطور اللغة ونموها فتقترض اللغة من لغات الامم والشعوب ما تقترض مما ليس موجودا فيها .

(9) تعرض الامم للغزوات والنكبات يعرض احيانا الامم المغلوبة الى فقدان لغتها عندما تفرض الامم الغالبة لغتها عليها ، او تتأثر لغة الامم المغلوبة بلغة الامم الغالبة .

(10) انقراض الامم والشعوب يؤدي الى انقراض لغاتها لان اللغات ترتبط بمتكلميها فاذا انقرضوا انقرضت .

(11) تشتت الامة والشعب يؤدي الى تاثر لغتها او لغته بلغات الامم المخالطة مما يؤدي الى مسخ لغة الامة المشتقة .

(12) بعض اللغات تمتاز بسهولة قواعدها ومرونة اساليبها وهذا قد يدفع بعض الامم الى هجر لغاتها اذا كانت قواعدها واساليبها شديدة التعقيد .

نواحي التطور والتغير اللغوي :

(1) التبدل الصوتي للحرف والكلمة : وذلك بأن يتغير صوت الحرف وعلى سبيل المثال حرف الجيم العربي يلفظ في لبنان وسوريا بصوت يختلف عنه في مصر وفيهما في العراق وكذلك في مصر نفسها حرف الجيم يلفظ في الصعيد بصوت يختلف عنه في القاهرة كذا حرف القاف والضاد ، او ان يتغير صوت الوحدة اللغوية .

(2) توسيع القاعدة اللغوية وذلك بأن يخضع اهل اللسان ما يقترضونه لقواعدهم اللغوية فيجرون عليه ما تجري عليه قاعدة لغتهم او توسيع القاعدة لتشمل الشاذ غير الخاضع لها .

(3) اقتراض المفردات : وذلك حين تعجز قواعد اللغة عن الوفاء بوضع مفردات جديدة ولا يكون ذلك عن عجز وانما تكون المفردات الاجنبية قد استقرت بحيث لا يمكن احلال مفردات لغوية موضوعة بموجب القواعد اللغوية للغة .

(4) استعارة اساليب او تراكيب لا تعرفها اللغة : ومن امثلة ذلك في اللغة العربية ذر الرماد في العيون ، وعاش ستة عشر ربيعا ، وضع المسألة على بساط البحث ، ولا جديد تحت الشمس وساد الامن في البلاد .

ومن امثلة ذلك ايضا الاصطلاحات الفنية والادارية : كهيأة المحكمة وتشكيل المحاكم وانعقدت المحاكم ، وتعريفة الرسوم ، واللاسلكي واللانهائي .

(5) تبدلات فرعية مختلفة : كالنقل والارتجال والاستعمال المجازي والنحت على غير قياس او سماع .

مقياس اللغة الحية :

من اللغات ما توصف بأنها : حية ، ومنها ما توصف بأنها : ميتة ، والميتة هي اللغة التي تشتت الشعب الذي يتكلمها فخالط امما وشعوبا مختلفة اللغات ، وكان ان مسخت لغة الشعب المشتت . وقد يطلق وصف الميتة على لغات تحتفظ بشخصيتها وذاتيتها ويتكلمها الملايين وهذا الذي هو يدعونا الى التساؤل . ما هي المقاييس التي يقاس بها كون اللغة حية او ميتة ؟

مما يجاب على هذا التساؤل : ان العلماء يختلفون في المقاييس التي تعتبر اللغة : لغة حية وللاختلاف اسباب : فمن العلماء من يعتبر المجتمع هو المقياس ، اللغة التي يرتضيها المجتمع بمفرداتها وقواعدها واساليبها ونظمها ، هي اللغة الحية ، لان اللغة كما عرفها بعض الباحثين ، هي وسيلة للتعبير والتفاهم . وليست غاية ، وللمجتمع ان يختار الوسيلة التي يرتضيها . ويضيف العلماء الى ما سبق شرطا آخر اذا توفر في اللغة بالاضافة الى ارتضاء المجتمع كانت اللغة لغة حية ، وهو ان تكون اللغة سهلة في قواعدها مرنة في اساليبها ونظمها ، وعلى اساس هذا المقياس للمجتمع ان يغير ويطور ويبدل في اللغة ما شاء الا في حدود ضيقة كأن يجري تأليف وترتيب

الكلمات وفق نظام ثابت ليؤدي الكلام المؤلف منهـا معنـاه العـام .

ان الحياة تتطور وفى تطور مستمر واللغة ينبغي لها ان تساير هذا وهي وسيلة للمجتمع ان يختار تلك الوسيلة . ولا ينبغي لتلك الوسيلة ان تقيد المجتمع وتقف حجر عثرة أمام تطوره واحتياجاته .

وبعض العلماء لا يعتبر المجتمع هو المقياس ، بل يعتبر وفاء اللغة بحاجة الانسان الى التعبير والتفاهم وحفظ ونقل وتخليد آثاره الادبية والعلمية والفكرية ، والعقائدية هو المقياس .

فاللغة التي تفي بذلك لغة حية ولا يسمح هؤلاء العلماء لاممهم ان يغيروا ويبدلوا ويطوروا فى لغتهم كيفما شاءوا . بل لا بد ان يكون التطور والتغير فى اللغة يجري على أساس من قواعدها وأساليبها اللازمة الاتباع . وهؤلاء العلماء يربطون بين لغتهم وبين تراثهم العلمي والفكري والادبي والحضاري ، ويربطون بينها وبين عقائدهم ونظمهم وبينها وبين مشاعرهم واهدافهم فى الحياة (29) .

نشـاة اللغـة الانسانيـة :

قد كثر القائلون والباحثون فى نشأة اللغة الانسانية واصلها منذ أقدم العصور ـ ولا زال علماء اللغات يدرسون ويبحثون ـ ولقد عالجها فلاسفة اليونان وعلماء اللغة العربية والاسلام ، واهتم بها الباحثون من الاوربيين ومشى على آثارهم كثير ممن اخذ عنهم وخاصة العرب منذ القرن التاسع حتى اليوم وقد اختلفت وجهات النظر ونتج عن ذلك نظريات كثيرة منها .

المذهـب الاول :

ان اللغة الهام وتعليم من الله : بمعنى ان الواضع للغات هو الله سبحانه وتعالى ، وقد بلغها الانسان بطريق الوحي والالهام او بايداع ذلك فى طباعه .

(1) وذهب الى هذا الراى جماعة من المفسرين وقد حكى ابن جنى عن بعض المفسرين فى تفسير الآية « وعلم آدم الاسماء كلها » ان الله سبحانه علم آدم اسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات فكان آدم وولده يتكلمون بها ثم ان ولده تفرقوا وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه واضمحل عما سواها لبعد عهدهم بها واذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده والانطواء على القول به (30) .

وعن ابن عباس انه كان يقول : علمه الاسماء كلها ، وهي هذه الاسماء التي يتعارفها الناس من دابة وارض وسهل وجبل وجمل وحمار واشباه ذلك من الامم وغيرها . وعن مجاهد انه قال : علمه اسم كل شيء . وقال غيرهما : انما علمه أسماء الملائكة . وقال آخرون : علمه اسماء ذريته اجمعين .

(2) وممن ذهب هذا المذهب : الاصوليون ، قال الآمدي حاكيا آراء العلماء فى ذلك : اختلف الاصوليون فذهب الاشعري واهل الظاهر وجماعة من الفقهاء الى ان الواضع هو الله ووضعه لنا متلقى من جهة التوقيف اما بالوحى او بأن يخلق الله الاصوات والحروف ويسمعها لواحد او لجماعة ويخلق له اولهم : العلم الضروري بأنها قصدت للدلالة على المعاني محتجين على ذلك بآيات منها قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا » وهذا يدل على أن آدم ، والملائكة لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى ، ومنها قوله تعالى : « اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » واللغات داخلة فى هذه المعلومات ومنها قوله تعالى : « ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ، ما انزل الله بها من سلطان » ذمهم على تسمية بعض الاشياء من غير توقيف ، وقوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم » . المراد به اللغات لا نفس اختلاف هيئات الجوارح من الالسنة لان اختلاف اللغات ابلغ فى مقصود الآية (31) .

(3) وذهبت طائفةمن علماء اللغة الىمثل ما ذهباليه المفسرون والاصوليون حكى ابن جنى فى الخصائص عن استاذه ابى علي الفارسي المتوفى سنة 377 هـ قال: ان ابا علي رحمه الله قال لي يوما هي من عند الله واحتج بقوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » (32) .

وايد ابن جنى هذا الراى فقد جاء عنه فى الخصائص : واعلم فيما بعد انني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الوضع فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على

فكري وذلك انني اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقة ما يملك على جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به امام غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا ومنه ما حذوته على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده صحة ما وفقوا لتقديمه منه ، ولطف ما اسعدوا به وانضاف الى ذلك ، وارد الاخبار المأثورة بأنها من عند الله عز وجل فقوى فى نفسي اعتقاد كونها من الله سبحانه وانها وحي (33) .

(4) وقال ابو الحسين احمد بن فارس : ان لغة العرب توقيف واستدل بالآية : « وعلم آدم الاسماء كلها » وتفسير ابن عباس ومجاهد وغيرهما . ولكن ابو الحسين بعد ان اطلق كلامه هذا الاطلاق ، رجع فخصص ما عمم فقال : ولعل ظانا يظن ان اللغة التي دللنا على انها توقيف انما جاءت جملة واحدة وفى زمان واحد ، وليس الامر كذلك بل وقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء ان يعلمه اياه مما احتاج اليه فى زمانه وانتشر من ذلك ما شاء الله ثم علم بعد آدم عليه السلام من الانبياء نبيا نبيا ، ما شاء ان يعلمه حتى انتهى الأمر الى نبينا محمد صلى الله عليه وآله واصحابه وسلم ـ فآتاه الله من ذلك ما لم يؤته احدا من قبله (34) .

ثم قال فان تعمل لذلك اليوم متعمل ، وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده ، ولقد بلغنا عن ابى الاسود ان امرا كلمه ببعض ما انكره ابو الاسود ، فساله ابو الاسود عنه فقال هذه لغة لم تبلغك . فقال ابو الاسود يا ابن اخي لك فيما لم يبلغني .

وجاء انه لم يبلغنا ان قوما من العرب فى زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه (35) .

وقد كان فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم وهم البلغاء والفصحاء من النظر فى العلوم الشريفة ما لا خفاء به وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة او احداث لفظة لم تتقدمهم .

قال الاستاذ مصطفى السقا بعد ان اورد اقوال اصحاب المذهب السابق : والذي يلوح لي أن اكثر ما استدل به اصحاب هذا المذهب ادلة دينية مع ان البحث نظري عقلي لا ديني فينبغي ان يستبعد منه الاستدلال بالآيات والاحاديث ونحوها . على ان الآية الاولى التي هي معتمد القوم فى الاستدلال ليست نصا فى الموضوع وانما هي من قبيل الظاهر الذي يحتمل اكثر من وجه ، فقد يمكن تأويلها : بأن الله اقدر آدم على ان واضع عليها . قال ابن جنى فى الخصائص بعد ان اورد الآية : وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك انه قد يجوز ان يكون تأويله : اقدر آدم على ان واضع عليها . وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة ، فاذا كان ذلك محتملا وغير مستنكر سقط الاستدلال به وقد كان ابو علي رحمه الله ايضا قال به فى بعض كلامه وليس يعنينا ذلك من الادلة التي استدلوا بها غير كلام ابن جنى وخلاصته انه راى فى احكام اللغة ودقة تنظيمها ما جعله يعتقد ان ذلك الاحكام لا يتأتى من غير الله . وهذا الدليل ان لم يكن صريحا فى التدين ، فهو مقنع بقناع الدين ، فان كثيرا من اعمال القدماء كالاهرام وغيرها آية فى دقة الصنع فهل نقول ان صانعها هو الله من اجل اتقانها ، على ان ابن جنى نفسه بعد ان ذكر كلامه الذي سقناه لم يلبث ان شعر بما فيه من ضعف فاستدرك على نفسه بقوله : كذلك لا ننكر ان يكون الله قد خلق من قبلنا وان بعد مداه عنا ، من هم الطف منا اذهانا واسرع خواطر واجرا جنانا فاقف بين الخلتين حسيزا واكاثرهما فانكفىء مكثورا ، وان خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف باحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها ، قال الاستاذ مصطفى السقا : اما صدر كلام ابى الحسين احمد بن فارس فهو تقليد لائمة الدين وقد كان الشيخ محافظا شديد المحافظة ، وقد عدل كلامه فضيق دائرة الدعوى ، واما انكاره على العرب انهم اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء ، مصطلحين عليه فيكفي فى رده ما نقله غير واحد من ائمة اللغويين من ان رؤبة العجاج وجريرا وابن احمر الباهلي ، انفرد كل منهم بألفاظ لم يقلها غيره من العرب وانهم كانوا يرتجلون اللغة احيانا . فهذا دليل على استمرار نهر اللغة حتى العصر الاموي والى انقضاء عصور الفصاحة العربية قبل ان تسيل سيول العجمة وتفسد السلائق باختلاط العرب بغيرهم الاختلاط الاكبر فى العصر العباسي وليست المواضعة والاصطلاح والتواطؤ الذي يريده القائلون به الا ان يخترع اللفظ مخترع فيتقبله منه الناس ويستعملوه .

وخلاصة ما تقدم : ان القائلين بأن اصل اللغة توقيف ووحي يعوزهم الدليل العلمي لا الديني ولم نجد هذا الدليل فيما بين ايديهم من فروض واحتمالات .

وقد ذهب هذا المذهب من اليونانيين قديما الفيلسوف « هيراقليط » ومن الادبيين المحدثين طائفة على رأسهم الاب « لامى » فى كتابه « فن الكلام » ويستند الى نص الفقرتين 19 ، 20 من الاصحاح الثاني من سفر التكوين وهما : « والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول ، وجميع طيور السماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الانسان فوضع آدم اسماء لجميع الحيوانات المستانسة ولطيور السماء ودواب الحقول»

وهذا الدليل فوق انه دليل ديني ليس فيه شيء من الاستدلال على اصل الدعوى وقد بان من هذا ومما تقدم أن هذا المذهب مجرد دعوى لا سند لها غير الادلة النقلية التي ليست نصا فى الموضوع (37) .

ولكن بعض العلماء توصل الى دليل عقلي ينهض قويا ليدعم الادلة النقلية وهذا الدليل ان الانسان الاول لما كان نبيا ـ فهو لا بد له ، لكي يتفهم ما يوحى اليه ولابلاغ رسالته من لغة يستطيع بها تفهم وابلاغ رسالته، والا تعذر عليه التبليغ وتفهم ما يوحى ، فالله سبحانه لما خلق أبا البشر وأصل الخليقة آدم عليه السلام واسكنه وزوجته الجنة ، واوحى اليه هو وزوجه ان ياكلا من الجنة حيث شاءا ـ وان لا يقربا شجرة معينة وغير ذلك مما خاطبهم به ، فلا بد من غير شك انه علمهم معاني ما خاطبهما به ، وما أوحى به اليهما بل الظاهر انه سبحانه علمهما ما يتخاطبا به فيما بينهما أو مع الملائكة وذلك لاتمام النعمة عليهما فى الجنة .

نعم من الجائز أن الله اودع فى آدم وذريته الاولين قوة توسيع اللغة الاصلية ثم تفرعت منها لغات بعد ذلك حسب التكتلات البشرية فى اقطار المعمورة فكان لكل كتلة منهم لغتها ولهجتها ونغمتها الخاصة(38)

المذهب الثاني :

ان اللغة تواطؤ واصطلاح : وخلاصة هذا المذهب ان الواضع للغة هو الانسان وان وضعه لها كان على مراحل . ولقد ذهب الى هذا المذهب اكثر اهل النظر كما قال ابن جنى فى الخصائص : هذا موضع محوج الى فضل تأمل غير ان اكثر اهل النظر على أن اللغة انما هي تواضع واصطلاح لا وحي ولا توقيف(39)

ولعل المراد بأهل النظر فى كلام ابن جنى المتكلمون عامة والمعتزلة منهم خاصة ، وكان ابن جنى واستاذه ابو علي الفارسي منهم كما ذكر السيوطي فى كتاب المزهر .

1 ـ حكى ابو الحسن علي بن محمد الآمدي فى كتاب الاحكام أن البهشمية وجماعة من المتكلمين ذهبوا الى ان ذلك من وضع أهل اللغات واصطلاحهم وان واحدا او جماعة انبعثت داعيته او داعيتهم الى وضع هذه الالفاظ بازاء معانيها ، ثم حصل تعريف الباقين بالاشارة والتكرار كما يفعل الوالد بالولد الرضيع وكما يعرف الاخرس ما فى ضميره بالاشارة والتكرار مرة بعد اخرى محتجين على ذلك بقوله تعالى « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » وهذا دليل على تقدم اللغة على البعثة والتوقيف (40) .

2 ـ وزاد ابن جنى على هذا المذهب توضيحا بقوله : ذهبوا الى ان اصل اللغة لا بد فيه من المواضعة وذلك كأن يجتمع حكيمان او ثلاثة فصاعدا فيحتاجوا الى الابانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد سمة ولفظا ، فاذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز عن غيره وليغنى بذكره عن احضاره الى مرآة العين فيكون ذلك اقرب واخف واسهل من تكلف احضاره لبلوغ الغرض فى ابانة حالة بل قد يحتاج فى كثير من الاحوال الى ذكر ما لا يمكن احضاره ، ولا ادناؤه كالفاني، وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد كيف يكون ذلك لو جاز وغير هذا مما هو جاز فى الاستحالة والبعد مجراه . فكأنهم جاءوا الى واحد من بني آدم فأومئوا اليه وقالوا : « انسان انسان انسان » فأى وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هذا الضرب من المخلوق وان أرادوا سمة عينه او يده اشاروا الى ذلك فقالوا : يد عين رأس قدم او نحو ذلك ، فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها وهلم جرا ، فيما سوى هذا من الاسماء والافعال والحروف ثم لك بعد ذلك ان تنقل هذه المواضعة الى غيرها فتقول الذي انسان فليجعل مكانه مرد والذي اسمه : رأس فليجعل مكانه سر . وعلى هذا بقية الكلام . وكذلك لو بدئت اللغة الفارسية فوقعت المواضعة عليها لجاز ان تنقل ويولد منها لغات كثيرة من الرومية والزنجية وغيرهما . وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء كالنجارة والصائغ والحائك والبناء وكذلك الملاح ، قالوا : ولكن لا بد لأولها من ان يكون متواضعا بالمشاهدة والايماء (41) .

وعلى ذلك اختلفت اقلام ذوي اللغات ، كما اختلفت انفس الاصوات المرتبة على مذاهبهم فى

المواضعات . **وتوسط قوم بين المذهبين** فذهب ابو اسحاق الاسفرايني . الى ان القدر الذي يدعو به الانسان غيره الى التواضع بالتوقيف ، والا فلو كان بالاصطلاح ، فالاصطلاح عليه متوقف على ما يدعو به الانسان غيره الى الاصطلاح على ذلك الامر . فان كان باصطلاح لزم التسلسل وهو ممتنع ، فلم يبق غير التوقيف . وجوز حصول ما عدا ذلك بكل واحد من الطريقين (42) .

وخلاصة الرد على اصحاب هذا المذهب : في ان قولهم : باجتماع حكيمين او ثلاثة فصاعدا ليضعوا لكل شيء سمة ولفظا ليس الا مجرد خيال وحدس وظن لا يغني من الحق شيئا ، ذلك الى ان القول بأن الانسان وضع من اول الامر كلمات ذات مقاطع مركبة يجافي طبائع الأشياء اذ ان التدرج والترقي من البسيط الى المركب هو القانون الملحوظ في نشأة الظواهر الاجتماعية التي من اهمها ظاهرة اللغة كما يلاحظ ذلك في نشأة لغة الطفل وتدرجها شيئا فشيئا .

واما الاستدلال بالآية « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » فليس فيه دليل لانه يجوز ان يكون التوقيف الذي قبل التواضع بالوحي من غير واسطة اللغة ، على اننا نقول ما قلناه آنفا ان الاستدلال بالنصوص الدينية في مقام البحث العلمي لا يجوز ، ولذلك كله توقف جماعة من العلماء عن القطع بأحد المذهبين فذهب القاضي : ابو بكر الباقلاني وغيره من اهل التحقيق ، الى ان كل واحد من هذه المذاهب ممكن بحيث لو فرض وقوعه ، لم يلزم عنه محال لذاته واما وقوع البعض دون البعض فليس عليه دليل قاطع والظنون متعارضة يمتنع معها المصير الى التعيين — ولذلك ايضا قال الآمدي : والحق ان يقال ان كان المطلوب في هذه المسألة يقين الوقوع لبعض هذه المذاهب ، فالحق ما قاله ابو بكر الباقلاني اذ لا يقين من شيء منها (43) .

المذهب الثالث :

ان اللغة نشأت من الاصوات ويرى هذا العلماء الاوربيون المحدثون ، وسبق اليه علماء اللغة العربية قال ابن جنى في الخصائص : وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات . كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيح الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي — صوت تيس الظباء عند السفاد — ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عند ذلك فيما بعد (44). ويقول ابن جني : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل (45) .

ويرى الاب انستاس ماري الكرملي نفس هذا الراي ويقول : الكلم وضعت في اول امرها على هجاء واحد متحرك فساكن محاكاة الأصوات الطبيعية (46).

وهذا المذهب قال به جماعة من المتأخرين مثل: « ادم سمث » و « دوكلر ستيورت » ونقل عنهم أن الانسان كان يعبر عما في ضميره بالاشارات والحركات حتى تكاثرت فجعل يحكي الاصوات التي يسمعها فكان اذا اراد ان يشير الى الغراب قال : غاق ، ولما وجد حكاية الاصوات هذه تفي بالمقصود اعتمد عليها فحصلت منها اصوات اللغة ، ثم طرا عليها التركيب والنحت والحذف والتغيير وما شاكل ، فتألفت سائر الفاظ اللغة عن كل خاطر يخطر في النفس (47) .

وبمقتضى هذا المذهب كان الانسان اذا اراد استحضار معنى الحصان عبر عنه بصهيله « حم حم » او معنى الكلب عبر عنه بمحاكاة نباحه «عو عو» وهكذا. واذا اراد الدلالة على معنى قطع الغصن او قصفه نطق بالصوت « قط او قضى » او معنى سقوط الحجر على الارض نطق بالصوت « طق » لما بين هذه الاصوات ومعانيها من المناسبة . وقد قال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : « صر » وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : « صر صر » ومن الطبيعي ان يكون التفاهم في هذا الطور الاول بكلمات مقطعة لا بجمل وان هذه الكلمات كانت حكاية لأصوات الاشياء او حكاية افعال اما الحرف التي تربط بين الكلمات في الجمل ، فلم تكن نشأت بعد (48) .

فانت ترى ان اللغة نشأت بمحاكاة الانسان للاصوات الطبيعية وكانت المحاكاة في اول امرها عضوية . اى لم يقصد بالاصوات الحاكية التعبير عن المعاني المحكي عنها بها للاتصال بالغير ، ان الوظيفة الاجتماعية للغة لم تبرز في اول الامر . ثم وجد الانسان ان هذه الوسيلة مثمرة ونافعة وسهلة في دلالتها على المعاني ، لهذا اصبح يطلق على الاشياء اصواتا هي حكاية لأصواتها الصادرة عنها للدلالة عليها وللاتصال بالغير ، فمعنى هذا ان استعمال الانسان للاصوات الحاكية اصبح استعمالا لا شعوريا ارادياً هادفا ، وهنا يبرز العنصر الاجتماعي للغة ثم طرا على الاصوات الحاكية الدالة : التركيب والنحت والحذف

والزيادة والقلب والابدال ، ليدل الانسان على معاني جديدة بأصوات متمايزة . بعد ان التفت الى اهمية وفائدة الرموز الصوتية فى الدلالة على المعاني الصوتية وغير الصوتية المادية وغير المادية ، وكان هذا على مراحل . ثم ان التصرف فى الاصوات الحاكية بالكيفيات المتقدمة يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات الاجتماعية ثم اقرت هذه الاصوات المتصرف بها مع الزمن فبعد كثير منها عن أصله وهو الصوت الذي حاكى به الانسان الاصوات الطبيعية وهكذا نشأت اللغة (49) .

ويستدل أصحاب هذا المذهب على صحته :

(1) بأنه اقرب المذاهب الى البساطة التي تقتضيها حياة الانسان البدائي وتقتضي التدرج والتطور الذي تقضي به طبائع الاشياء والذي يلحظ فى نشوء الظواهر الاجتماعية عامة .

(2) وبأنه توجد مناسبة ملحوظة بين الاصوات وما تدل عليه من معنى وهذا امر ظاهر فى لغات الامم الاولية .

(3) وبأنه شبيه بنشأة لغة الطفل التي تتدرج من الاصوات الساذجة المستطيلة الى الاصوات المقطعة ثم يتدرج الى الكلمات ذات المقاطع المركبة اذا كملت اعضاء النطق عنده .

ولا يرد على هذا المذهب من النقد ما ورد على المذاهب الاخرى السابقة ولذلك كان اقرب المذاهب الى العقل وان لم يوصل الى اليقين فى نشأة اللغات وقد ارتضاه ابن جنى فى كتابه الخصائص حين قال : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل .

والاصوات جمع صوت : وهو الجرس الذي ينتقل بالهواء الى حاسة السمع . وتنقسم هذه الاصوات بحسب المصدر الذي تنبعث عنه . الى قسمين : **الاول** : الاصوات الطبيعية كصوت الريح أو الرعد أو النار ، أو جري المياه وانصبابها من علو الى اسفل ، وكاصوات الحيوان والطير والاصوات التي تسمع من الانسان فى احوال الانفعال كالانين والصراخ والعويل وكأصوات الفرح والطرب ونحو ذلك .

والثاني : الأصوات غير الطبيعية كأصوات الحركات والافعال التي يفعلها الانسان وأصوات الآلات والادوات التي يستعملها كأزيز الطائرات وجمجمة الطواحين وصوت المنشار فى الخشب ووسوسة النقود والحلى وصرير الابواب وصلصلة الاجراس وما اشبه ذلك .

ويلحق بهذا القسم الاصوات البدائية التي اخترعها الانسان لدعاء الحيوان او لزجره ، وتنقسم الاصوات من حيث صفاتها الى أصوات ساذجة وهي التي تمتد فى استطالة بدون تقطيع كصوت زمارة الانذار عند انتهاء الغارات وكصفير الحيوان او الانسان من غير ترجيع ولا تكرير . وهذا النوع ليس موضوع بحث اللغويين ، والى أصوات مقطعة كالحروف التي يلفظها الانسان بالاعتماد على المقاطع والمخارج وكالاصوات الطبيعية التي سبقت الاشارة اليها فانها وان صدرت عن أشياء لا مقاطع لها كمقاطع الانسان فقد تمكن حكايتها بالالفاظ الانسانية المؤلفة من الحروف ، فلما اشبهت الاصوات اللغوية الانسانية ذات المقاطع والحروف جرت عليها احكامها (50) .

وهناك من العلماء من يقرر أن أصل اللغة الانفعالية للانسان ، التي كان يطلقها الانسان فى ظروف حياته البدائية وهي تختلف باختلاف حالاته النفسية والجسمية وباختلاف الظروف المحيطة به . وكانت تلك الاصوات فى بدايتها عفوية لم يقصد منها الاتصال بالغير ، بل هي مجرد أصوات تصدر عنه كتعبير عن حالة من حالاته الانفعالية ولما ارتبطت هذه الاصوات بتلك الحالات الانفعالية نتيجة تكرارها ، عند تعرضه لها انتبه الى اهمية هذه الأصوات وفائدتها ، فأخذ يستعملها للاتصال بالغير وبهذا أصبح الصوت يخدم غرضا اجتماعيا وكان أن وسع مجال الصوت فى الدلالة على الأشياء تدريجيا وهكذا نشأت اللغة (51).

المذهب الرابع :

يقرر كثير من العلماء المحدثين ان أصل اللغة يرجع الى جذور نفسية وفى هذا عدة نظريات :

(1) أصل اللغة رغبة الانسان فى ان يرى الواقع مرموزا اليه . وفى ذلك نجد الاستاذ سابر Sapir يرى ان الحاجة الى التفاهم انشأت اللغة ، بل وهو من المشتغلين بفلسفة اللغة لا يرى أن منشأها رغبة الانسان فى أن يرى الواقع مرموزا اليه او معبرا عنه بالرموز ، ثم اكتشف مصادفة ان ذلك خير وسيلة للتفاهم (52) .

(2) أصل اللغة التعبير عن الحالات الانفعالية .

(3) اصل اللغة التعبير عن المعاني الكامنة وفى هذا يقول « ماكسي » وهو من اشهر من قال بهذه النظرية فى القرن الماضي 1863 م « فى الانسان قوة من شأنها التعبير عما فى ضميره بكلمات ملفوظة فكان الفكر اول ما يجول فى دماغه ، كأنه يقرع تلك القوة فتصوت بألفاظ يفهم الفكر منها . وهذه الالفاظ هي اصول اللغة ثم تقلبت عليها أطوار التعبير والتركيب فتألفت مفردات اللغة ولما تم الاستنباط درج عليها الاستعمال ولم يبق لهذه القوة من حاجة فأهملت وتضعضعت ولم تعد تحس كما يضعف السمع والبصر لقلة الاستعمال (53) .

من هذا يتضح ان اللغة انما نشأت بسبب عوامل ودوافع نفسية بتة ثم وجد الانسان الاول ان اللغة يمكن ان تحقق له فوائد كثيرة فانتبه لذلك وكان ان وسع من نطاقها وظواهرها لتخدم اغراضه التي يمكن ان تؤديها .

المذهب الخامس :

الاصل الاجتماعي وخلاصته : ان اللغة نشأت بظهور البذرة الاولى لتكون المجتمع وان الانسان كان مضطرا لان يتفاهم مع الاخرين لاسباب ودوافع كثيرة لهذا كان يطلق اصواتا فى حالات مختلفة ثم اكتسبت هذه الاصوات صفة التباين النسبي حتى اصبحت لها دلالتها على معان معينة (54) . فأخذ يستعملها للتعبير والاتصال بالآخرين لتحقيق غرض ما فنشأة المجتمع هي سبب نشأة اللغة .

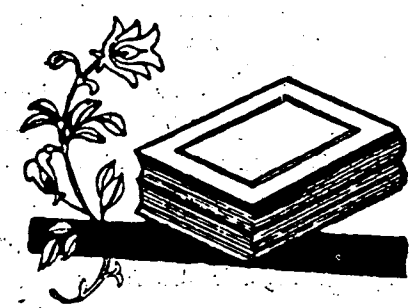

المصـــــــادر

1 — مجلة المعرفة ـ السنة الاولى جـ 3 ، ص 11،مايو 1970 السعودية
2 — الخصائص لابن جنى ـ جـ 1 ، ص 31 ، طبعة الهلال بمصر 1331هـ
3 — مجلة النجف ـ السنة الثانية جـ 6 ، ص 47 ، تموز 1968 العراق
4 — مجلة اللسان العربي ـ العدد 3 ، ص 54 ، المغرب 1385 هـ
5 — مجلة دعوة الحق ـ السنة 6 ، العدد 5 ، ص 38 المغرب 1382 هـ
6 — نفس المصدر ـ ص 39 ـ 40 .
7 — مجلة اللسان العربي ـ العدد 3 ، ص 55 .
8 — كتاب اللغة العربية لعبد العزيز عبد المجيد جـ1 ص19ـ20 القاهرة
9 — مجلة اللسان العربي ـ العدد 3 ، ص 55 ، الرباط .
10 — مجلة المجلة ـ العدد 114 يونيه 1966 ، القاهرة .
11 — مجلة المجلة ـ العدد 114 ، مقال الدكتور تمام حسان .
12 — مجلة المنار للسيد رشيد رضا ـ المجلد 3 ، ص 303 ، القاهرة .
13 — مجلة منبر الاسلام ـ 1961 ، القاهرة .
14 — الخصائص لابن جنى ـ جـ 1 ، ص 31 ، القاهرة .
15 — اللهجات العربية للدكتور ابراهيم نجا ـ مطبعة السعادة بمصر .
16 — مجلة اللسان العربي ـ العدد الاول ، ص 28 ، المغرب .
17 — فلسفة اللغة العربية للدكتور عثمان أمين ، القاهرة .
18 — تراث الانسانية ـ العدد 3 ، المجلد الثاني ، القاهرة .
19 — الابنيشد ـ مجموعة كتب هندية فى الفقه الهندوي ، ثقافة الهند.
20 — مجلة ثقافة الهند ـ المجلد 11 ، الهند .
21 — المصدر السابق .
22 — اشتات مجتمعات فى اللغة والادب ـ عباس العقاد ، مصر .
23 — مجلة العربي ـ العدد 98 ، الكويت .
24 — مجلة النجف ـ العدد السادس ، ص 8 ، السنة الثانية ، العراق.
25 — مؤتمر مجمع اللغة الدورة 26 ، ص 18 ، القاهرة .
26 — نفس المصدر ـ ص 19 .
27 — العربي ـ العدد 98 ، الكويت .
28 — مجلة النجف ـ العدد 6 ، السنة الثانية ، ص 72 ، العراق .
29 — المصدر السابق ، ص 85 ـ 86 .
30 — الخصائص لابن جنى ، جـ 1 ، ص 39 ـ 40 ، القاهرة .
31 — الاحكام فى أصول الاحكام للآمدي ، ص 105 ، القاهرة .
32 — الخصائص لابن جنى ، جـ 1 ، ص 39 .
33 — المصدر السابق ، ص 45 .
34 — الصاحبي فى فقه اللغة ، ص 5 ، بيروت .
35 — المصدر السابق .
36 — نفس المصدر ، ص 7 .
37 — المعرفة السعودية ـ السنة الاولى ـ العدد 3 ، السعودية .
38 — مجلة النجف ـ العدد 6 ، ص 38 ـ 40 ، السنة الثانية ، العراق.
39 — الخصائص لابن جنى ، جـ 1 ، ص 39 .
40 — مجلة المعرفة ـ العدد 3 ، السنة الاولى ، السعودية .

41 — الخصائص لابن جنى ، جـ 1 ، ص 41 – 42 .
42 — الاحكام للآمـــدي ، جـ 1 ، ص 106 .
43 — المعرفة السعودية – السنة الاولى ، جـ 3 .
44 — الخصائص لابن جنى ، جـ 1 ، ص 44 – 45 .
45 — المصـــدر السابـــق ، ص 45 .
46 — دراسات فى فقه اللغة ، ص 155 ، العراق .
47 — معجـــم متـــن اللغـــة ، جـ 1 ، ص 18 .
48 — المعرفة السعودية – السنة الاولى – العدد 3 .
49 — النجف العراقية – العدد السادس ، ص 50 – 51 .
50 — المعرفـــة السعوديـــة – السعودية .
51 — النجف – العدد السادس ، ص 51 ، العراق .
52 — اصول تدريس اللغة العربية – ص 10 ، العراق .
53 — معجم متن اللغة – جـ 1 ، ص 19 ، العراق .
54 — النجف – العدد السادس ، ص 53 ، العراق .
55 — المزهـــر للسيوطـــي – جـ 1 ، ص 36 ، القاهرة .